المركز العربي للمعلومات

مصطفى فروخ: طريقي الى الفن

مذكرات صريحة لفنان لبناني رائد

المركز الكربي للمعلو

(١)

مع اقتراب الذكرى السنوية الثلاثين لرحيل الفنان مصطفى فروخ (١٩٠١ - ١٦ شباط ١٩٥٧) ، التي تمر بعد اشهر، صدر كتاب جديد عن مؤسسة نوفل بعنوان « طريقي الى الفن» يتضمن المذكرات التي كتبها فروخ في الدفتر الاسود (كما اسماه الدكتور عمر فروخ في العام ١٩٨٠ لان غلافه اسود).

تتناول المذكرات مرحلة هامة من حياة الفنان فروخ ونشاته الفنية منذ بداية تعرفه على الرسم والتلوين (العام ١٩١٢) وتعلقه بالفن رغم مواقف التحريم التي اطلقها في بداية مسيرته بعض المشايخ والتي تجاوزها بفضل تشجيع مدير المدرسة طاهر التنير الذي منحه فتوى الانطلاق في رحاب الفن ودراسة الرسم على يد المصور الفوتوغرافي « جول لند» الذي نصحه مع حبيب سرور ورئيس الجامعة الاميركية هوارد بلس لدراسة الاصول الفنية في روما.

ويقول فروخ ان حبيب سرور كانت له يد طيبة على بداياته الفنية « فهو الذي شجعني على السفر الى ايطاليا لاكمال دروسي الفنية فيها. وقد علمني بعض الايطالية».. ويتحدث بمرارة عن ذكرياته في ممارسة تصوير «البورتريه » التي جمع من ورائها مصاريف السفر الى روما ويقول « مارست تصوير هيئة الاشخاص لانها هي التي تثمر في بيئتنا، ولان الانانية هي السائدة هنا. اما مناظر الطبيعة وغيرها فانها لا تهم احدا»..

ويتحدث فروخ عن معاناة السفر وعن محاولات عائلته اقناعه بالعدول عن مشروع السير في طريق رحاب الفن والسفر الى روما في شهر ايلول من عام ١٩٢٤ وعبر الباخرة الايطالية « برازيل».. ثم يتطرق الى تفاصيل الرحلة البحرية الاولى والى صلاته الاولى بالفن ومشاهدته لروائع الاعمال الفنية في نابولي وروما. والى تجارب الدراسة في محترفات الجامعة الملكية للفنون حين رسم للمرة الاولى في حياته « الموديل العاري». ودراسته الليلية في محترفات الاكاديمية الفرنسية في روما وزياراته العديدة للمتاحف والمعارض ومشاهداته للمسرح الاوبرالي الايطالي.

ويتناول فروخ في مذكراته سنوات الدراسة في حرم الاكاديمية الملكية للفنون الجميلة في روما وعلاقته الودية

باستاذه كالكوندورو وبرفيقه المصري يوسف كامل واشتراكه للمرة الاولى بمعرض دولي في روما.. والسفر عبر القطار الى مدينة النور باريس في ٢٥ تموز ١٩٢٧ . والزيارة الاولى لمتحف اللوفر والوقوف طويلا امام لوحات عصر النهضة والانطباعيين والشعور بالراحة لمشاهدة المتاحف الباريسية « باريس هي عاصمة الفن الحديث ومركز الحرية الفنية في يومنا هذا، وهي محج فناني العالم كافة يقصدونها من اقاصي المعمورة ويعرضون صورهم وانتاجهم في المحال المختلفة الكثيرة والمخصصة لهذا الغرض. تلك المحال التي تعرف باسم غاليري».

ويتحدث فروخ عن شاعرية الاجواء والحياة الفنية في باريس وعن لقائه بالنحات يوسف الحويك وعن عودته الى روما « على امل العودة ثانية الى باريس للبقاء مدة اطول لمتابعة الدرس، لان في باريس مجالا كبيرا.. لبناء الشخصية الفنية».

ويصف فروخ الانطباع الاخر للحياة في روما ويقول « لما قدمت الى روما اول مرة من بيروت بدت لي روما صاخبة هائلة عظيمة، والان وانا اعود اليها من باريس اجدها هادئة بسيطة، واكاد اقول هي قرية كبيرة»..

ويعود فروخ الى الوطن عن طريق البحر ويزور القسطنطينية قبل ان يصل الى بيروت ليقيم له احد وجهائها (احمد بك اياس) اول معرض صغير في منزله بدعوة من جمعية الكشاف المسلم. ثم يقيم في قاعة «كرين روم» في الوست هول في الجامعة الاميركية معرضا يتضمن صورة « بورتريه» لمؤسس الجامعة الاميركية دانيال بلس وللفنان حبيب سرور رسمها فروخ كما يقول « كاول عمل بعد قدومي الى بيروت. صنعتها اعترافا لجميله علي. وهي صورة ثلاثة رباعية كبيرة تمثله يحمل لوحة الوانه وريشته وهو يستعد للتصوير ».

ويقول فروخ عن المعرض الاول في الجامعة الاميركية: « كان في هذا المعرض صور لنفر من كبار الشخصيات العلمية والسياسية في الوطن. ثم مناظر لبنانية ثم رسوم تمثل نواحي من حياتنا القومية. وقد توخيت ان اتجه في صور المعرض الى ايقاظ فكرة الجمال في هذا الوطن للدعوة الى محبته والاعجاب به لان الفن واسع متشعب».

ويتحدث فروخ عن المراحل الاولى لانشاء صف اختياري لتدريس التصوير في الوست هول للراغبين من طلاب الجامعة، باقتراح وتشجيع من المسترسيلي (مدير الوست هول). وقد حضر الدروس التي استمرت نحو السنتين نحو ثلاثين تلميذا وتلميذة. « ثم توقفت لان وقتي اصبح ضيقا».

ويتناول فروخ في مذكراته المعاناة الاولى لعدم تقدير بيئته الاسلامية لفنه، ورغم حبه المطلق لبيروت يؤثر العودة الى باريس لان « شعلة الفن لا تزال تتقد في نفسي» ويسافر اليها في تشرين الثاني من عام ١٩٢٩ ويقول « انني اجيء باريس هذه المرة واحمل في نفسي اهدافا ثلاثة، اولها عرض عدد من لوحاتي في الصالون الدولي، كان حلما من احلامي العذاب. والهدف الثاني تتبع الحركة الفنية والتثقيف بالفن الحديث الذي تحمل علمه باريس. اما الهدف الثالث فكان زيارة بلاد الاندلس».

وفي باريس، يلتقي فروخ بالفنان عمر الانسي ويتقدم واياه للاشتراك بمعرض الصالون الدولي. وتقبل اعمال فروخ وترفض اعمال الانسي.

وهذا النجاح اثمر باعطاء فروخ منحة للدراسة والاقامة في باريس لمدة سنة، وللعرض مرة اخرى في المعرض الدولي في جناح جمعية الفنانين الفرنسيين عبر لوحتين « شاربة القهوة وكنيسة جنيف» ويقول فروخ بان عمر الانسي وقيصر الجميل وجورج الخوري تقدموا للاشتراك في هذا المعرض ولم تقبل اعمالهم.

ويتحدث فروخ عن معاناته مع اللبنانيين المقيمين في باريس وعن حوادث يقول عنها بانها « حوادث تافهة ولكنها تدل على نواح محزنة مؤلمة في الحياة. ما كنت افكر انه يوجد مثلها. وكثيرا ما كنت ضحية لصدق طويتي وايماني بالناس الذين كانوا يستغلون هذه المزايا لصالحهم ومبادلتي الطيب بالضرر».

ويعطي فروخ اهمية كبيرة لرحلته الى بلاد المجد المفقود ومشاهدة متحف « البرادو في مدريد» والاثار الاسلامية في طليطلة وقرطبة واشبيلية. فقد افادته هذه الرحلة واعادت اليه الثقة بفنه وبحضارته العربية العريقة. ويقول « كان لي عبرة عميقة الاثر في هذه الرحلة التي ارتني نتيجة التخاذل والتحاسد اللذين قضيا على ذاك المجد العظيم. ولا يزال ذلك التخاذل وذلك التحاسد، مع الاسف، فينا نحن الاحفاد الى اليوم، قويين يقفان دون نهوضنا ودون اعادة مكانتنا بين الامم.

ويكتب فروخ في الصفحات الاخيرة للدفتر الاسود عن لقائه مع استاذه الايطالي (كالكاينادورو) في باريس. وعن ثورة استاذه وغضبه تجاه الفنون الحديثة. ثم يتحدث مطولا عن مشروع كتابة تفاصيل رحلته الى الاندلس وعن اهداف نسخ خمس عشرة لوحة لكبار الفنانين الايطاليين والهولنديين والفرنسيين « لانها ستمكنني ان اظل متصلا بالعالم الفني عند عودتي الى الوطن حينما اكون بعيدا عن هذه

المركز الكربي للمعلو

التحف».

ويتحدث بمرارة عن مواقف الفنانين تجاه فنه في الثلاثينات وعن واقع معاناته في بيروت ويقول « انها اجمل البلاد ولكنها سيئة الحظ وقريبة من الهلاك ».

(٢)

في محاولة لالقاء اضواء حول كتاب فروخ الجديد « طريقي الى الفن» كان الحوار التالي مع نجله هاني فروخ الذي ساهم مع الدكتور عمر فروخ باعداده ونشره.

● بعد غياب حوالي الثلاثين عاما، تعاد وتلقى اضواء حول مذكراته. لماذا هذه الفترة الطويلة لنشر المذكرات؟

□ بعد غياب الوالد في شباط ١٩٥٧، اهتممت بنشر مجموعة مقالاته ومحاضراته التي القاها ونشرها خلال حياته في الصحافة اليومية والمجلات. وقد صدر هذا الكتاب بعد عشر سنوات من رحيله.

والحقيقة ان هذه الفترة الطويلة، كانت بالنسبة لي، فترة نضوج والمام بالتراث الفني الذي تركه فروخ لعائلته.. ومن اجل ذلك، بعد عدة سنوات، نشرنا كتابا اخر بعنوان « وجوه العصر بريشته» وهي اعمال مختارة من نتاجه بالحبر الاسود وشهادة حيوية لتفاعله مع رجال العصر والثقافة.

في الثمانينات، بدأت بمشروع للتعريف بنتاجه الابداعي عبر اصدار ملفات فنية لمختلف مراحله ومواضيعه. واعداد ملف كل سنتين يتضمن عشر لوحات ملونة مختارة من نتاجه في مجال المائيات والزيتيات ومواضيع الوجوه والمناظر اللبنانية والطبيعة الصامتة التي انجزها ما بين ١٩٢٩ و ١٩٥٦.

واقول صراحة، ان الهاجس الاساسي الذي حرضني لاتخاذ مثل هذه الخطوة، هو غياب المتحف وجهل الاجيال الجديدة من الشبان والمهتمين بالفنون باعمال الفنانين الرواد وبالفترة النهضوية الاولى في الفن اللبناني ، هذا بالاضافة الى غياب الدولة في مبادرات تكريم الفنانين الرواد وفي تنفيذ الخطوات الفعلية لتاسيس متحف لفنوننا اللبنانية المعاصرة، لان كل ما سمعناه ، عن محاولات لافتتاح متحف بقي مع الاسف حبرا على ورق.

لذلك، اعتبر نشر مذكرات فروخ « طريقي الى الفن» خطوة توثيقية لتوضيح الصورة تجاه بدايات فروخ الفنية الشاقة ومحاولاته الجادة لبناء نهضة فنية فعلية في بيروت الثلاثينات.

● هل يمكن اعتبار الكتاب كوثيقة للرد على بعض الاجتهادات النقدية الخاطئة تجاه فن فروخ ومواقفه الثقافية (ما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٢) ؟

□ الكتاب وثيقة تاريخية تضعنا مباشرة في مناخ النهضة الفنية اللبنانية مطلع القرن. وهو ابعد من ان يكون مجرد كتاب للرد على الاجتهادات النقدية. انه تفاصيل حيوية لذكريات السيرة الذاتية حيث المواقف الصريحة تجاه الفن والمجتمع والاخلاق. والكتاب بهذا المعنى قدوة للاجيال المقبلة، لانه خلاصة لتجربة ومعاناة فنان اعتبر ان الفن رسالة وان اهم حدث ثقافي واجتماعي في حياة شعب هو قيام نهضة فنية فيه.

● المعروف ان مرحلة اعداد الكتاب استغرقت عدة سنوات ما هي الصعوبات التي اعترضت خطوات التنفيذ؟

□ في العام ١٩٧٩، عرضت مخطوطة الكتاب بيد الوالد على الدكتور عمر فروخ، وبعد مطالعتها قال لي انها مخطوطة هامة يجب ان تنشر.

في المرحلة الاولى، نقلنا النص المكتوب بخط دقيق ومزدحم الى الالة الكاتبة. بعدها، بدأ الدكتور عمر بعملية التنقيح للمسودة الاولى. واستمرت عملية اعادة الطباعة والتنقيح مرات عديدة، حتى استقر النص على صيغته النهائية دون ان يفقد روحه وسياق صيغته الاساسية.

بعد ذلك، اشتغلت على الفهرسة والحواشي وايجاد تفسيرات وثائقية لبعض الاسماء الفنية التي يتضمنها النص، استنادا الى الموسوعة الفنية العالمية « البنزيت».. وتعاونت مع الاستاذ زهير فتح الله على تقسيم الكتاب الى فصول، لان الدفتر (المذكرات) كما هو معروف مكتوب باكمله بنفس واحد وفي معظم الاحيان كانت الاسطر تتلاحق بلا فواصل ولا حدود للانتقال من فكرة الى اخرى ومن حادثة الى حادثة.

انما العمل الاصعب والاشق الذي اعترضنا تركز في طريقة التعامل مع بعض الاحداث والاسماء المتداولة في النص، بحيث انها كانت وفي احيان كثيرة صريحة وعنيفة. ومن اجل ذلك اثرنا ترك اسماء الفنانين على حالها بمعظم ما احاط بها من ملاحظات. اما الاسماء السياسية والاجتماعية فراعينا فيها الظروف واعتمدنا حذف الاسم مع ترك فصول الحادثة.

● ما الجديد الذي يقدمه الكتاب على صعيد كشف ملامح السيرة الذاتية لفروخ. مع العلم ان سيرته نشرت في كتاب بعنوان « قصة انسان من لبنان»؟

□ « قصة انسان من لبنان» كان بمثابة رواية لحياة الفنان فروخ. اما الكتاب الجديد فهو مذكرات شخصية فاضحة تحتوي على ادق التفاصيل لمواقفه الحياتية والاجتماعية والسياسية والثقافية والنفسية والفنية. مما لا يكشف الكثيرون عن مثله. فقد تكلم فروخ في الكتاب - المذكرات، بصراحة تامة عن منافسيه في الحياة والفن. وعن الذين ارادوا استغلاله فنجحوا حينا ولم ينجحوا في احيان اخرى، وذكر الذين انتقدوه.

الجديد في الكتاب، هو نشر مجموعة من الصور الفوتوغرافية للمرة الاولى مع نصوص لمذكراته بخط يده. ، اضافة الى نشر صور عن الاعمال الفنية الاولى التي عرضها في معارض وصالونات روما وباريس في العام ١٩٢٦ و ١٩٣٠ و ١٩٣١.

● ما الخطوات المقبلة، التي تحضر حول فن مصطفى فروخ؟

□ في المرحلة الراهنة، نهتم بتنفيذ المرحلة الاخيرة من طباعة المجموعة الرابعة (لوحات زيتية) والمجموعة الخامسة (لوحات مائية) المختارة من نتاج فروخ ومن مراحله المختلفة، لضمها الى الملفات الفنية السابقة. ومن المتوقع صدورها في تشرين الثاني المقبل.

اعداد: فيصل سلطان

● « طريقي الى الفن»، كتاب جديد لمصطفى فروخ صادر عن مؤسسة نوفل. يتضمن الفصول التالية: مقدمة للدكتور عمر فروخ بعنوان مصطفى فروخ واراؤه الاجتماعية والفنية - اراء ومقتطفات من كتاب رحلة الى بلاد المجد المفقود - مقدمة للمذكرات بشائر فنية مشجعة - تفتح الموهبة الفطرية - الاستعداد للحج الفني - في الطريق الى رحاب الفن - (٢٠٨ صفحات مع مجموعة من الصور النادرة).